مسلك فضل عباس في دراسة القصص القرآني

Method of fadlel Abbas In studying The Quranic Narative

زماملية حبيبة[1]
جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة –
habibadoctora@gmail.com
أ.د حدة سابق
جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة –
necira03@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/04/17 القبول 2020/12/07 النشر على الخط 2021/03/15
Received 17/04/2020 Accepted 07/12/2020.Published online 15/03/2021

ملخص:

لقد اهتمت هذه الدراسة بالحديث عن أحد أعلام التفسير في بلاد الشام، وهو فضل عباس الذي عُرف بدوره الفعال في الدفاع عن حياض الإسلام، ودفع الشبهات، لذا ارتأينا من خلال هذه الورقة تسليط الضوء على جهوده في دراسة القصة القرآنية من خلال تفاسيره المتنوعة، بغية الوقوف على بعض مزايا منهجه، ومظاهر إبداعه في دراسة القصة القرآنية.

الكلمات المفتاحية: مسلك، فضل عباس، القصص القرآني، دراسة .

Abstract:

This study focused on talking about one of the media of interpretation in the(Billad El-cham) levant Countries Fadl Hassan Abbas, who was known for his effective role in defending Islam's menstruction and pushing suspicions.

So we decided through this paper to shed light on his efforts in studing the Quranic story through his various books, in order to identify some of the method and the aspects of his creativity in the study of Quranic stories.

Keywords : (fadlel Abbas Method studying Quranic Narative)

[1]– المؤلف المرسل: زماملية حبيبة البريد الإلكتروني: **habibadoctora@gmail.com**

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا والصلاة و السلام تامين كاملين على سيدنا محمد و على آله و سلم .

يعتبر القصص القرآني من أعظم محاور القرآن الكريم ، وكلية من كلياته الكبرى بكونه يشكل مساحة شاسعة من كتاب الله من جهة و من جهة أخرى لمقاصده السامية الداعية إلى توحيد الله تعالى، ويرى أهل العلم أن من أعظم مظاهر إعجازه هو ذلك الترابط العجيب بين الآيات والكلمات، فقد قص الله علينا في كتابه أحسن القصص وأبدعه طريقة في السرد، وأعجبه أسلوبا وأصدقه أخبارا وعليه صبغة من الإيجاز والاختصار،تحار أمامها العقول ،لهذا تحركت أقلام المفسرين خاصة المتأخرين ، فشمروا على سواعدهم لخدمة كتاب الله، وكان لخريج الديار الشامية الشيخ فضل عباس –رحمه الله – قدم السبق في ذلك فهو ممن قيظه الله واصطفاه خدمة لكتابه العزيز ، فاهتم أيما اهتمام بدراسة القصص القرآني فهما و تدبرا،فهو يعدُ موسوعة علم نبغ في التفسير وعلوم القرآن والقراءات والبلاغة والأدب والنحو.

وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية البحث والتنقيب عن مسلكه رحمه الله في خدمة كتاب الله تعالى، وطريقته الفذة المبتكرة في تحليل وعرض القصة القرآنية، وتكمن مشكلة الدراسة في:

الكشف عن جهود الشيخ فضل عباس في خدمة القصة القرآنية و إبراز الجديد الذي أضافه في منهج التعامل مع القصة القرآنية.

ومن هذه الإشكالية تتفرع الأسئلة الآتية:

–هل للشيخ فضل عباس منهجية خاصة في دراسة القصة القرآنية؟

– وهل له ترجيحات خاصة، ولمسات واضحة في عرض القصة القرآنية وتحليلها؟

– وما الإضافات التي قدمها؟

وللإجابة على هذه التساؤلات جاءت الدراسة وفق تمهيد وثلاث مطالب وخاتمة ، تناولنا في التمهيد تعريفات مختصرة معتصرة لأهم مصطلحات البحث ، أما المطالب الثلاث فهي صلب الموضوع ركزنا من خلالها على المسلك العلمي للشيخ فضل حسن عباس في عرض و دراسة القصة القرآنية من خلال مؤلفاته المتنوعة و الثرية بالقصص القرآني وأبرزها كتاب قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو نفس ، والتفسير المنهجي والإذاعي، وإعجاز القرآن الكريم وغيرها ثم ختمنا الدراسة ببيان أهم النتائج المتوصل إليها.

2.تمهيد:

سنتطرق في هذا التمهيد ببيان معاني لبعض المصطلحات المتعلقة بالموضوع ،مع تقديم نبذة موجزة لحياة الشيخ فضل عباس – رحمه الله – و سيرته العلمية بشيء من الإيجاز وهي كالآتي:

1.2 – تعريف المسلك

لابد قبل الوقوف على حقيقة ما نفهمه من مصطلح "مسلك " أن نقف على الأصل اللغوي لهذه الكلمة، ومن ثم وجب التفريق بين المنهج والطريقة حتى نتمكن من ضبط المعنى الاصطلاحي لكلمة مسلك في اصطلاح المفسرين .

أولا: المسلك لغة

قال ابن فارس: السين واللام والكاف أصلٌ يدلُّ على نفوذ شيءٍ في شيء. يقال سلكت الطَّريقَ أَسلُكُه. وسَلكت الشيء في الشيء: أنفذْته. والطَّعْنَة السُّلْكَى، إذا طَعَنَه تِلقاءَ وجهِه. والمسلَكَة: طُرَّةٌ تُشَقُّ من ناحية الثوب، وإنّما سمّيت بذلك لامتدادها. وهي كالسِّكَك[1].

في حين عرفه ابن منظور بقوله:" سَلَكَ من السُّلوك :مصدر سَلَكَ طريقاً، والسَّلك، بالفتح :مصدر سَلكْت الشَّيء في الشَّيء فانسلك أي أدخلت فيه فدخل، وفيه لغة أخرى :أسلكته[2].

أما **الزّمخشري** فقد عرفه بقوله :" طريق مسْلوك، وما سَلكَ طريقَ أقْومَ منه، ومن المجاز :ذهب في مسلك خفيٍّ ، وخذ في مَسالك الحقِّ . وهذا كلام دقيق السَّلك : خفيُّ المسلك".[3]

ثانيا: اصطلاحا

وللوقوف على مدلول كلمة مسلك في اصطلاح المفسرين وجب بيان الفرق بين المنهج والطريقة ، مع إبراز القواسم المشتركة بينهم ، ولقد كان الفضل للشيخ صلاح الخالدي حيث نبه إلى ذلك بقوله: "معظم الباحثين والدارسين لم يفرقوا بين المنهج والطريقة في أبحاثهم ودراساتهم، فهم يخلطون بينهما ويجعلونهما كلمتين مترادفتين، بمعنى واحد، فالمنهج عندهم هو الطريقة، والطريقة هي المنهج. وهذا الخلط والترادف بين المنهج والطريقة عندهم جعل دراساتهم غير واضحة ولا محددة، ولا تعرّف عن الأشخاص الذين تتحدث عنهم، ولا على المناهج التي تعرضها"[4]

فالمنهج التفسيري هو المسلك الذي يتبعه المفسر في بيان المعاني واستنباطها من الألفاظ ، وربط بعضها ببعض ، وذكر ما ورد فيها من آثار ، وإبراز ما تحمله من دلالات وأحكام ومعطيات دينية وأدبية وغيرها ، تبعاً لاتجاه المفسر الفكري والمذهبي ، ووفق ثقافته وشخصيته .[5]

وقد يعبّر عنه بالطريقة التي عالج بها المفسر قضايا التفسير المختلفة ، مع إبراز رأيه وتحديد موقفه حيال هذه القضايا بكل ما يمكن من الوضوح "[6].

بخلاف (**الطريقة**) ، فإنها مظهر شكلي للطريقة التي **سلكها** المفسر في تفسيره لآيات القرآن الكريم ، أو ما يمكن أن نعبّر عنه بأنه الناحية الشكلية التي ترتسم في مخيلة الباحث .

فالمنهج يفي بالدراسة الموضوعية والمسالك التفسيرية في بيان المعاني ، واستنباطها من الألفاظ ، والطريقة تعني بالناحية الشكلية التي انتخبها المفسر في ترتيب المباحث وتعيينها [7].

---

[1] ينظر أحمد بن فارس بن زكرياء القزوين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،ط1399هـ-1979م،ج3،ص97.

[2] ينظر ابن منظور :لسان العرب، دار صادر بيروت، ط4 1414هـ ، ج10،ص442-443

[3] ينظر، الزمخشري ، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1998/1م ، ج1 ، ص 470

[4] صلاح عبد الفتاح الخالدي،تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم_ دمشق، ط4 ، 1492هـ 2008 م، ص 17-18-19.

[5] محمد بكر إسماعيل : ابن جرير الطبري و منهجه في التفسير ، ص29

[6] علي محمد الزبيري، ابن جزي ومنهجه في التفسير، الناشر: دار القلم، سنة النشر: 1407 – 1987،ج1،ص328

7 ينظر محمد علي ايازي: المفسرون حياتهم ومنهجهم،مكتبة مؤمن قريش وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ،ط1386هـ ، ج1،ص31-33.

وفي الأخير يمكن القول أن العلاقة بين المصطلحات الثلاثة علاقة عموم وخصوص فالمنهج عام والمسلك خاص فهو إذن الطريق الذي يسلكه المفسر ، وفق منهجه التفسيري، واتجاهه الفكري والمذهبي ووفق ثقافته وشخصيته.

ومنه مسلك فضل عباس في دراسة القصص القرآني يقصدُ بها طريقته المثلى وأسلوبه الفريد في معالجة القصة القرآنية، وفق منهجه التفسيري واتجاهه العقدي وموروثه الديني .

2.2 . التعريف بالشيخ فضل عباس – رحمه الله –

أولا: حياته و نشأته

لعل أفضل تعريف لسيرة الشيخ فضل عباس ذلك الحوار العلمي الذي أجرته معه مجلة الفرقان حينما طلبت منه أن يتحدث عن نفسه فقال :" هويتي هوية مسلم عاش أحداثا كثيرة عقود من الزمن في أكثر من قرن ، اسمي فضل حسن أحمد عباس ولدت في رمضان من عام 1350هـ هذا في شهر كانون الثاني من سنة 1932م وكان والداي رحمها الله – حريصين كل الحرص على أن أحفظ كتاب الله تبارك وتعالى وأدرس العلم، ذلكم لأن هذا العلم يكاد يكون شيئا مهما في الأسرة معروفاً عندنا في الأسرة،... و من فضل الله حفظت كتاب الله تبارك وتعالى وأنا دون العاشرة ، ثم بعد ذلك بدأت حفظ المتون العلمية الكثيرة فحفظت (متن الغاية و التقريب) في الفقه الشافعي ومتن الرحبية في الفرائض، و متن الجوهرة في التوحيد ، و بعض متون المنطق و غيره، من متون علوم الحديث، ثم بدأت بحفظ ألفية بن مالك ، وهذا كله كان أثناء وجودي في بلدتنا صفّوريا التي لا تبعد عن الناصرة كثيرا في فلسطين ،...[1] وقد كان إلى جانب عمله، مولعًا – بالعلم وتدريسه، فكان يجتمع عليه بمنزله طلاب العلم النّاهلون منه بأعداد غفيرة"[2]

و لما سئل عن مواقف مؤثرة في حياته قال:" أنا من فضل الله عليّ حينما أقرأ القرآن أقرؤه بكل ما منحني الله تبارك و تعالى من خلايا..و لقد وقفت كثيرا حين كنت صغيرا أمام الكلمات أول موقف في قوله تعال ﴿ **سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ** ﴾ (يس: 58) في سورة يس و كنت أسأل نفسي لماذا (من رب رحيم) و لم يقل (كريم) و حاولت الإجابة عن هذه التساؤلات فعرفت أن في هذا الموقف تكون رحمة الله في الأساس، ومن هنا بدأت أتأثر بالقرآن وأحفظه و أقف عند بعض القضايا فيه"[3]

كما شهد في حياته الكثير من الرحلات العلمية أبرزها :

- توجه إلى مصر عام 1948 م وفيها درس المرحلة الثانوية ثم كلية أصول الدين في الأزهر وتخرج فيها سنة 1952 م
- رحل إلى الأردن سنة 1965 م، ثم عيّن مدرساً في كلية الشريعة في الجامعة الأردنية سنة 1966 م
- حصل على درجة الدكتوراه من الأزهر سنة 1972 م، وكانت رسالته بعنوان «اتجاهات التفسير في مصر والشام.

ثانيا : شيوخه و تلاميذه

تلقى الشيخ فضل عباس العلم على كوكبة من علماء الأزهر الأجلاء الذين كانوا مشاعل علم و عمل ، كانوا موسوعات علم زاخرة ، ومن هذه الثّلة من الشيوخ: محمد عبد الله دراز، ومحمد البيصار، شيخ الجامع الأزهر وعبد الحليم محمود.

---

[1] مجلة الفرقان العدد السابع و العشرون /جمادى الأولى 1424هـ-2003م

[2] ينظر محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني، لآلئ مضيئة من حياة العلامة فضل حسن عباس، ، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن-عمان ط1/1434هـ-2013م ، ص13

[3] المرجع السابق مجلة الفرقان العدد السابع و العشرون /جمادى الأولى 1424هـ-2003م

هؤلاء هم أشهر من ذكرهم" فضل حسن عباس "رحمه الله من شيوخه، في مصنفاته أو تحدث عنهم، رحمهم الله ، وأجزل لهم المثوبة بما قدموا لأبناء المسلمين.[1]

أما بالنسبة لتلامذة "فضل حسن عباس" رحمه الله فهم كثر جدً ا، وحسبك بأستاذ كان معلما لأجيال متعاقبة، فقد كان ل "فضل حسن عباس" رحمه الله تلامذة أثناء تدريسه في المساجد والمدارس والمعاهد في فلسطين ولبنان والأردن، والإمارات، فدرس عليه أمم من طلبة العلم، حتى التحق بال تّعليم في الجامعات الأردنية وغيرها، فأقبل عليه طلاب العلم جيلا بعد جيل، حتى غدا اليوم كثير ممن نهل من معين علمه من كبار أساتذة الجامعات، وفي كثير من أقطار المسلمين)، ومن أبرز **تلاميذه:** سليمان الدقور، وجمال أبو حسان، وجهاد نصيرات، وأحمد نوفل[2]

ثالثا: جهوده العلمية ووفاته

أ/ جهوده العلمية

يعتبر فضل عباس أحد أبرز علماء السنة في الأردن وأحد العلماء المعدودين في علوم التفسير وعلوم اللغة والبلاغة، عرفه الناس من خلال كتبه ودروسه ومحاضراته في حلقات العلم وفي المساجد وفي المنتديات العلمية، وعرفه طلاب العلم في رحاب المعاهد العلمية والجامعات، و لقد برز كأحد أهم علماء التفسير والتلاوة في السبعينات حين سجلت له الإذاعة الأردنية 400 حلقة إذاعية في تلاوة وتفسير القرآن الكريم كاملاً، كانت باكورة مسيرته العلمية التي أثمرت فيما بعد نتاجاً كبيراً وهاماً من المؤلفات والنظرات الجديدة في تفسير القرآن الكريم، و لقد أَثْحفَ المكتبة الإسلامية بمجموعة من المصّنفات الجليلة، ولا سيما ما يتّصل منها بالتّفسير وعلوم القرآن، وقد غدا كثير من مؤلّفاته اليوم مراجع في كثير من الجامعات والمعاهد العلمية و الشرعية في أقطار المسلمين، وذلك فضل من الله تعالى.

و من أبرز مؤلفاته: إعجاز القرآن الكريم، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته و قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو هدف، لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية نقض مطاعن ورد شبهات، الكلمة القرآنية وأثرها في الدراسات اللغوية، قضية التكرار في كتاب الله، إتقان البرهان في علوم القرآن،و غيرها من المؤلفات الخادمة لكتاب الله.

ب/ وفاته

توفي يوم 6 ربيع الأول من عام 1432هـ الموافق لـ 9 فيفري 2011م عن عمر يناهز 79 سنة ، في عمان حيث كان متوجهًا إلى مكة المكرمة لأداء العمرة، فوافته المنية قبل خروجه إلى المطار ودفن في المقبرة الإسلامية في سحاب[3]

3.2: التعريف بالقصة القرآنية

القصص القرآني هو القصص الحق ولقد عرفه العلماء عدة تعريفات أبرزها تعريف عبد الباسط بلبول الذي قال فيه بأنه:«إخبار الله عما حدث للأمم السابقة مع رسلهم، وما حدث بينهم وبين بعضهم، أو بينهم وبين غيرهم أفرادا وجماعات من كائنات بشرية، أو غير

[1] ينظر محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني، لآلئ مضيئة من حياة العلامة فضل حسن عباس ، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن-عمان ط1/1434هـ-2013م ، ص17-18.

[2] ينظر المرجع نفسه : محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني ، لآلئ مضيئة من حياة العلامة فضل ، جمعية المحافظة على القرآن الكريم،ص19.

[3] ينظر المرجع السابق : محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني، لآلئ مضيئة من حياة العلامة فضل حسن عباس، ، جمعية المحافظة على القرآن الكريم،ص19.

بشرية، بهدف الهداية والعبرة».[1]

في حين ذهب عبد الكريم الخطيب إلى القول بأن :«القصص القرآني كله عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزمن....فهو وثيقة تاريخية من أوثق ما بين يدي التاريخ من وثائق فيما جاء فيه من أشخاص وأحداث، وما يتصل بالأشخاص والأحداث من أمكنة وأزمنة.. هكذا أطلق القرآن لفظ القصص على ما حدّث به من أخبار القرون الأولى في مجال الرسالات السماوية وما كان يقع في محيطها في صراع بين قوى الحق والظلال، وبين مواكب النور وجحافل الظلام»[2].

أما مناع القطان عرفه بقوله« أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، وقد اشتمل على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه[3]»

أما مريم السباعي عرفت القصة القرآنية بقولها: «تتبع آثار وأخبار الأمم الماضية، وإيراد مواقفهم، وأعمالهم وبخاصة مع رسلهم، مع إظهار آثار الدعوات فيهم، وذلك بأسلوب حسن جميل مع التركيز على مواطن العبرة والعظة» [4]

لذا جلب أنظار العلماء و الباحثين باعتباره ميدانا خصبا للبحث و لعل من أبرز من اهتموا بدراسة القصة القرآنية العالم الفذ فضل حسن عباس الذي كانت له طريقة مميزة و مبتكرة في الدراسة و هذا ما سنبينه في الجانب التطبيقي من البحث.

1.3: المطلب الأول: عناية فضل عباس –رحمه الله –بالقضايا اللغوية والبيانية للقصة القرآنية

تعُد اللغة العربية من أهم مصادر تفسير كتاب الله العزيز بل الأساس الذي يعول عليه لبيان معانيه واستنباط أحكامه وحِكمه، وكشف أسراره وإعجازه، ولفضل عباس منهج متميز، و طريقة علمية فذة واضحة المعالم في الاهتمام بالقضايا اللغوية والبيانية و هذا ما سنوضحه في هذا المطلب بشيء من الإيجاز.

الفرع الأول: اهتمامه بالتحليل اللغوي للقصة:

لقد نزل القرآن الكريم بلسان العرب فصيحا بليغا؛لأجل أن يفهمه الناس ويعقلوه، ثم يطبقوه في واقع حياتهم فيسعدوا في الدارين.لذلك يرى فضل عباس أن من شروط المفسر أن يكون ملما باللغة العربية وعلومها. ولقد نبغ رحمه الله في علوم العربية،ووظفها أثناء دراسته للقصص القرآني.

[وتبرز شخصية فضل عباس اللغوية في شرحه للمفردات القرآنية الواردة في القصص القرآني، حيث يقف عند الغريب منها فيبينه، والمشكل منها فيوضحه، ومن أمثلة ذلك مايلي:

المثال الأول:

أثناء تفسير فضل عباس لقوله تعالى ﴿ **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ** ﴾ (البقرة: 49) قال فيها: أقرب معنى للسوم هي الإذاقة يعني يذوقنكم سوء العذاب و إن كانت اللغة تفرق

[1] بلبول عبد الباسط إبراهيم محمد، القصص القرآني: دت، جامعة الأزهر القاهرة ص36.

[2] عبد الكريم الخطيب :القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، مطبعة السنة المحمدية القاهرة، ط1 –1964م/ ص41–42

[3] مناع القطان: مباحث في علوم القرآن،دار النشر مكتبة وهبة ، ط11، ط2000م ، ص300.

[4] ينظر مريم السباعي ، القصة في القرآن الكريم، دار النشر جامعة أم القرى،ط1404هـ –1984م ، ص39.

بين السوم و الإذاقة، فإن ذلك من عظمة اللغة، فالسوم هو ذهاب مع ابتغاء ، و القرآن يستعمل الكلمة في المعنى، الذي لا يصلح غيرها فيه، فالسوم هذا أبلغ من الإذاقة[1]

المثال الثاني:

عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ **لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِين**﴾(الشعراء:3)، أفصح فضل عباس عن الأصل اللّغوي لكلمة باخع ومعانيها اللغوية، وأشار لتطورات اللفظ الدلالية، ليردف كل هذا بتحسر على العربية التي زهد فيها قومها، حيث يقول:أصل **البخع** :الذبح وكلمة البخع أصلها البخاع، وهو عرق في الرقبة، وهو أقصى ما يصل إليه الذابح، يريد أن يذبح ليصل إلى هذا العرق، وهو أقصى عرق في الرقبة، ثم استخدمت الكلمة للمشقة، والألم والحسرة، وهذا كثير في العربية، لغة العظمة لكن أهلها تركوها للأسف.[2]

كما تظهر روح الشيخ اللّغوية من خلال عنايته بالفروق اللغوية بين الألفاظ، ومن أمثلة ذلك مايلي:

المثال الأول:

ففي تفسيره لقوله تعالى ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُون**﴾ (المائدة :14)،[فصل فضل عباس معنى مفردة فأغريناهم ثم أبان الفرق بين الإغراء والإلقاء وبين الاستعمال القرآني لكل منهما مستشهدا لرأيه بالتاريخ، ومختصر قوله :الفرق بين الإغراء والإلقاء ، الآية التي تحدثت عن الإغراء كان الحديث عنها عن النصارى، و الآية التي تحدثت فيها عن الإلقاء كانت عن اليهود، و الواقع أن الإغراء أشد من الإلقاء، ألا ترى أن مادة الغراء التي يستعملها الناس حين يريدون أن يلصقوا شيئا بشيء حتى يثبت، ولا ينفصل هذا هو الإغراء، و التاريخ يحدثنا أن ما كان من النصارى من عداوات كان أكثر كثيرا مما كان بين اليهود....و الله هذا من الإعجاز التاريخي و البياني لكتاب الله[3].

المثال الثاني:

وفي تفسيره لسورة يوسف عليه السلام ووقوفا عند قوله تعالى ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾(يوسف91)، حيث أبان فضل عباس الفرق اللّغوي بين الخاطئ والمخطئ مستشهدا لذلك باستعمالات القرآن للفظين، وأوضح من خلال ذلك إعجاز القرآن في اختيار المفردات الدالة على المعنى دلالة كاملة من غير نقص ولا احتياج، فقال: الخاطئ هو الذي يتعمد الخطيئة ، والخطأ والذنب، وأما المخطئ فلا يكون متعمدا، ولذلك يغفر للمخطئ، ولكن الخاطئ سوف يعاقب على خطيئته﴿**نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ**﴾ (العلق 16) فكلمة خاطئون تدل على تعمد الخطأ ، وهذا هو الفرق لغة بين الخاطئ و المخطئ.[4]

وبهذا نقول أن السبب الحقيقي لتذوق معاني كتاب الله و كشف أسراره والوقوف على مقاصده وهو الإلمام باللغة العربية و علومها باعتبارها وعاء للعلم والمعارف.وبهذا ترتسم بعض ملامح الشخصية اللّغوية لفضل عباس والتي طبعت على تفسيره للقصص القرآني، وأرشدت القارئ للطائف اللّغوية المتضمنة في القصص.

الفرع الثاني: اهتمامه بالجانب البلاغي لقد أعطى فضل عباس اهتماما بالغا بعلم البيان، باعتباره أعظم وجوه إعجاز القرآن، لكونه يكشف النواحي البلاغية والنكت الإبداعية لآيات القرآن الكريم، فلا تكاد تخلو سورة منه سواء قصيرة أو طويلة من هذا الإعجاز.

[1] فضل حسن عباس :التفسير الإذاعي سورة البقرة الآية 49 مخطوط

[2] المرجع السابق فضل حسن عباس: التفسير الإذاعي ، سورة الشعراء الآية3 مخطوط.

[3] المرجع نفسه ، فضل حسن عباس التفسير الإذاعي الحلقة 91 ، تفسير سورة المائدة الآية 14، مخطوط

[4] المرجع نفسه فضل حسن عباس، التفسير الإذاعي سورة يوسف الأية91 مخطوط

وفي هذا الصدد يقول فضل عباس: متحدثا عن سر الإعجاز فيقول] فقال:" هو ترتيب لكلمات القرآن في جملها من جهة و اختيار الكلمات من جهة أخرى، ثم ترتيب الجمل و الآيات في السورة و تلك قضية كان يدركها العربي عند نزول القرآن بذوقه، و سليقته، أما عرب اليوم فهم يدركونها بالفكرة لا بالفطرة"[1]. ومن أمثلة ذلك:

أولا : دقة الألفاظ و قوة تعبيرها

لم يكن إعجاز القرآن في العبارات والمعاني فقط، بل شمل الألفاظ أيضا، حيث كان إعجازه من جهة الاختيار الدقيق للألفاظ المؤدية للمعنى بتمامه وكماله، دون أن يختلجه نقص ولا أن يعتريه خلل،وفي هذا يقول فضل عباس:"أن علم البيان هو علم الصورة الكلامية المؤثرة، ولا ريب أن الصورة تختلف في تأثيرها على النفس سواء في الصورة الكلامية أو الصورة الحسية"[2]. ومما جاء عن دقة الألفاظ وتعبيرها الحقيقي للمعنى المراد .ومن أمثلة هذا الجانب من الإعجاز التي كشف فضل عباس الغطاء عنها،ما يلي:

في **قصة آدم** عليه السلام يستخدم آدم لفظة الإحتناك لتدل على ما سيكون من إبليس لعنه الله مع بني آدم

﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء:62) ، وأصل الإحتناك الإستلاء على الشيء ، أو الاستئصال له ، فمن قوله حنكت الدابة إذا وضع في حنكها الرسن لقيادتها، ومن الثاني أي الاستئصال قولهم احتنك الجراد الزرع إذا استأصل كل ما فيها من نبات وزرع، فمعنى الآية لاستولين على ذرية آدم، لأقودنهم إلى ما أشاء من المعاصي إلا عدد قليل منهم"[3]. فأوضح فضل عباس أن لفظ الإحتناك وفى بالمعنى المراد دون حاجة لمزيد كلمات توضحه، وهذا ما أبانه ابن عطية في قوله:"كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد".

وفي **استخدام** القرآن لبعض الألفاظ دلالات خفية تزيد المعنى توضيحا، وإعجازا في التعبير، وقد أبرز فضل عباس هذا الوجه في القصص القرآني، من خلال توضيح المعنى الذي تدلي به المفردة للمعنى الإجمالي للآية، ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول:

فمثلا في قصة إبراهيم عليه السلام الواردة في سورة الأنبياء، فعند تفسيره لقوله تعالى:﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِين** ﴾ (**الأنبياء51**)قال:**الرشد** كلمة جامعة لكل ما يصلح شؤون الحياة المادية والروحية في الدنيا والآخرة والرشد يقابل الغواية، كما أن الهدى يقابل الضلالة ، ومن عظمة القرآن أنه يستعمل الكلمة مع غيرها، فيكون لها معنى خاص ، فإذا أفردت كان لها معنى أعم، وذلك في كتاب الله كالإسلام والإيمان والبر والتقوى، والفقير والمسكين...وكلمة **الرشد** في سورة الأنبياء ذكرت وحدها دون كلمة **الهداية**، فهي إذن كلمة عامة تدل على سلامة العقيدة والسلوك والخير، إنها تدل على التوفيق في العلم، والعمل، وصدق الظاهر والباطن.[4]

المثال الثاني: عند تفسيره لقوله تعالى:﴿**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ** ﴾ (الأنبياء 52)، يقول فضل عباس: التماثيل كلمة لها دلالة، وفي هذه التسمية ما يدل على حقارة شأنها، لأن التماثيل ما هي إلا أشكال صنعت لتشبه صورا مخصوصة، وهذا كاف في ضالتها وكونها غير مستحقة لهذا العكوف.[5]

[1] المرجع السابق فضل حسن عباس و سناء فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم ، ص155

[2] فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها و أفنانها ، ط11، دار الفرقان للنشر، 2007، ص13

[3] فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو نفس، دار النفائس بيروت ، ط2017م ، ص109

[4] ينظر المرجع السابق فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو نفس ، ص 305-306

[5] المرجع نفسه ، فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو نفس، ص 306

المثال الثالث:

وفي حديثه عن قصة نوح عليه السلام مع قومه، ووقوفا عند قوله تعالى من سورة (ق):﴿ **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (12) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ** ﴾ (**ق 12–13**)، فقال مفسرا: "إن السبب في هذا التعبير إخوان لوط، أن الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى أقوامهم، قد نشأ كل منهم في قومه، فهم أهله، وعشيرته، ...فقد جاءت في الآية إشارة إلى الأخوة الإنسانية"[1]

المثال الرابع:

أما في قصة يوسف عليه السلام ووقوفا عند قوله تعالى ﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾(**يوسف23**) استخدام لفظة **راودته** فقال: "الرود و التردد في فعل الشيء بمعنى معاودته مرة بعد مرة، الرائد: الذي يرسله القوم ليبحث عن الكلأ، وهي بصيغتها المفردة حكاية طويلة تشير إلى أن هذه المرأة جعلت تعترض يوسف بألوان من أنوثتها لون بعد لون ذاهبة إلى فن راجعة إلى فن ، لأن الكلمة مكن راودت الإبل في مشيتها تذهب و تجيء في رفق..ففي اللفظة القرآنية راودته حكاية طويلة"[2].

المثال الخامس:

وفي قوله تعالى ﴿ **قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾(**يوسف32**)يقول فضل عباس و أما استخدام القرآن لفظة (استعصم) أنها برهان العظمة، و دليل القوة (استعصم) كان أقوى من كل شيء و أقوى كمن الشهوة العارمة، استعصم فلم يعبأ بمظاهر السلطان و الترف[3].

و هكذا فالمفردات القرآنية منتقاة مختارة: وهي كما يقول الشيخ رحمه الله و لا أدل على ذلك من أننا حين ننظر في المعاجم اللغوية نجدها زاخرة بالألفاظ الكثيرة و لكن مادة اشتقاقاتها متعددة ...و قد تدار الكلمات الكثيرة على معنى واحد، أما كتاب الله فيخص كل لفظ بمعنى لا يتعداه. [4]

ثانيا: الترادف في القرآن الكريم

ينفي الشيخ فضل عباس دعوى الترادف في كتاب الله؛ والذي يعني تعدد اللفظ والمعنى واحد. ويسعى الشيخ من خلال تفسيره نقض دعوى الترادف بإثبات الفروق الدقيقة بين المفردات المتقاربة، والتي يعتقد أنها مترادفة،مثل الخوف و الخشية، و جاء و أتى، و الفعل و العمل ، و القعود و الجلوس ، و الإعطاء و الإيتاء و السنة و العام، و الحمد و الشكر، و الشك و الريب، اللوم و التثريب[5]. كما ويجلي الشيخ معنى المفردة الخاص المنضبط، الذي لا تشمله غيرها من المفردات.وفي دراسته للقصة نجد لفتات حول هذه الفروق الدقيقة:

المثال الأول:

في حديثه عن قصة نوح عليه السلام في قوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾(**العنكبوت 14**) يقول فضل عباس" ما أجمل هذه اللفتة البيانية وهي التعبير بالسنة عن المدة التي قضاها

[1] ينظر المرجع نفسه ، فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو نفس ، ص 354
[2] ينظر المرجع نفسه فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو نفس ، ص 393
[3] ينظر المرجع السابق ، فضل حسن عباس ، قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو نفس :ص 397
[4] المرجع السابق فضل حسن عباس، إعجاز القرآن،. 160
[5] المرجع نفسه، فضل حسن عباس ، إعجاز القرآن، ص160

نوح في قومه، لأن السنة تشير إلى الشدة والصعوبة والتعبير بالعام ، عن المدة التي لم يكن قومه فيها، والعام فيه معنى اليسر ، كما أن السنة تطلق على التقويم الشمسي والعام على القمري، وهو أقل بأحد عشر يوما، ففي السنة إشارة إلى الطول والشدة".[1]

المثال الثاني:

وهناك ثلاث كلمات قرآنية أشار إليها فضل عباس وحدد معناها؛ وهي:(**اللوم – التثريب – التفنيد**)،هذه الكلمات وردت في سورة يوسف.ذكر بعض المفسرين أنها متقاربة في المعنى، ويفسر بعضها ببعض، ولكن كان لفضل عباس رأي أخر، حيث قال:"ولكن الدقة والإحكام في استعمال الكلمات القرآنية يحتمان علينا أن نقف مع هذه الكلمات، وأن ننظر إلى السياق الذي جاءت فيه كل منها:

-**فاللوم**: فهو العدل ولعله أشدها وأقواها وأكثرها قسوة، جاء من امرأة العزيز في ردها على النسوة، وقد لاكتها الألسن بكل قسوة قال تعالى ﴿ **قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ** ﴾ (**يوسف 32**) فجاءت كلمة اللوم هذا مستقرة في موضوعها، لا يسد عنها غيرها[2]

-**التثريب**: فقد جاءت حديثا من سورة يوسف عليه السلام لأخوته بعد أن ظهرت الحقيقة وشعروا بالذنب، قال تعالى ﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (91) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين** ﴾(**يوسف 91–92**)، فانظر إلى سياق الكلمة لم يقل لا لوم عليكم، واستعمال الكلمة هنا يدل على حسن خلق يوسف عليه السلام فهو يقول (لا عتب – و لا تأنيب).

– **التفنيد**: أما الكلمة الثالثة تفنيد فقد ذكرها القرآن حديثا عن يعقوب عليه السلام قال تعالى﴿ **وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ** ﴾(يوسف 94)

بعض المفسرون فسرها "لولا أن تلمون" ولكن استعمال القرآن لها في هذا الموضع يجعل لها كيانها الخاص، وظلالها الخاصة، فالتفنيد ليس اللوم، وإنما أصله الإفساد، والمقصود أن لا يتهموه ذووه لشيخوخته بضعف الرأي و فساده[3]

و هكذا لقد بين الشيخ الفروق بين الكلمات الثلاث أثناء دراسته للقصة القرآنية، بطريقة مبسطة و مختصرة مما يدل على طول باعه و أنه قامة و شامة من شامات اللغة و البيان.

ثالثا: الاستعارة

اهتم فضل عباس باستخراج وتوضيح الجانب البياني ومنها الاستعارة، ومن أمثلة ذلك:

قال:"استخدم القرآن الكريم الاستعارة ففي قوله تعالى ﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ** ﴾(**الأعراف 154**)، سكت أي ذهب، وهذه استعارة كما يقول علماء البيان، لأن الغضب لا يسكت، ولكنه يذهب"[4]

وكثيرا ما يشير الشيخ في تفسيره إلى القضايا النحوية في القصص القرآني، ولكن بأسلوب سهل ممتع قريب يفهمه عامة الناس.

[1] المرجع السابق : فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو نفس ، ص197

[2] المرجع السابق، فضل حسن عباس ، إعجاز القرآن، ص 176.

[3] لمرجع السابق ، فضل حسن عباس: إعجاز القرآن، ص 177.

[4] المرجع السابق ، فضل حسن عباس :التفسير الإذاعي، سورة الأعراف 154، مخطوط

حيث قال عند قوله تعالى ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾(يوسف8)، هذا كلام إخوة يوسف يقولون " ليوسف" وهذه اللام جاءت للتأكيد، و لم يقولوا يوسف..."أحب لأبينا منا" و هناك فرق بين أن تقول : ما أحب الرسول – صلى الله عليه و سلم – إلى أمتي، و بين قولك : ما أحب الرسول – صلى الله عليه و سلم –لأمتي: [1]

الأولى: ما أحب الرسول – صلى الله عليه وسلم –إلى أمتي معناها أن الأمة هي التي تحب الرسول.

الثانية: ما أحب الرسول – صلى الله عليه و سلم –لأمتي، معناها أن الرسول – صلى الله عليه و سلم –يحب الأمة، فالآية الكريمة تقول: ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾(يوسف8) ومعنى ذلك كما بينه الشعراوي –رحمه الله – بقوله:" وحرف اللام الذي سبق اسم يوسف جاء للتوكيد ، وكأنهم قالوا : والله إن أبانا يحب يوسف وأخاه أكثر من حُبِّه لنا . والتوكيد لا يأتي إلا بصدد إنكار ، وهذا يدل على أنهم مختلفون في أمر يوسف عليه السلام؛ فأحدهم يريد أن ينتقم من يوسف ، وآخر يقترح تخفيف المسألة بإلقائه في الجب؛ ثم انتهوا إلى أن يوسف أحبُّ إلى أبيهم منهم .

وفي قولهم لَمْحة من إنصاف؛ فقد أثبتوا حب أبيهم لهم؛ ولكن قولهم به بعضٌ من غفلة البشر؛ لأنهم كان يجب أن يلتمسوا سبب زيادة حُبِّ أبيهم ليوسف وأخيه"[2]،فلننظر إلى دقة اللغة ودقة الكتاب العربي.

رابعا: التضمين

التضمين في اللغة: هو جعل الشيء في باطن شيء آخر، وإيداعه إياه، ويقال: ضمن الوعاء الشيء ، وضَمنته إياه ، وهو في ضمنه ، يقال: ضمنُ القبر الميت، وضمن كتابه وكلامه معنى حسنا، وهذا في ضمن كتابه ، وفي مضمونه ومضامينه"[3]

أما في الاصطلاح: للتضمين عدة تعريفات أهمها:" أن يؤدي (أو يتوسع) في استعمال لفظ توسعًا يجعله مؤديًا معنى لفظ آخر مناسب له، فيعطي الأول حكم الثاني في التعدي واللزوم"[4] ، وهو عند بعضهم: "إشراب لفظ معنى لفظ آخر، وإعطاؤه حكمه؛ لتصير الكلمة تؤدي معنى الكلمتين.[5] و"إن الغرض من التضمين إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى واحد.[6]

يرى فضل عباس أن **التضمين** من **المباحث البلاغية**؛ حيث أن الكلمة التي يدخلها التضمين لا تخرج عن معناها الرئيس الذي وضعت له، ولكنها تتضمن معنى أخر أفادته التعدية ،كما يرى أن التضمين أولى من القول بزيادة الحروف أو تناوب حروف الجر.

ففي تفسيره لقوله تعالى ﴿**حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾(الأعراف105)

---

[1] المرجع نفسه ، فضل حسن عباس :التفسير الإذاعي، سورة يوسف 8، مخطوط

[2] محمد متولي الشعراوي : تفسير الشعراوي، الناشر :دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، ط1992م ، ج1،ص4368

[3] ينظر المرجع السابق ابن منظور:لسان العرب ج13،ص256 مادة ض م ن وينظر المرجع السابق، الزمخشري ، أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر ط1-1979 مادة ضمن، ص 272

[4] ينظر أبي الفتح عثمان بن جني : الخصائص ، الناشر : عالم الكتب – بيروت تحقيق : محمد علي النجار ، عدد الأجزاء : 3، ج2،ص435

5 محمد بن علي الصبان الشافعي: حاشية الصبان :دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الطبعة الأولى 1417 هـ -1997م،ج2،ص95

6 شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي : فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ،ت: إياد محمد الغوج، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم،ط1، 1434هـ-2013م ،ج8،ص288

يقول فضل عباس: بعض المفسرين يقول "على" بمعنى الياء، وتناوب حروف الجر هذا ليس أمر شرطيا عند الكثير من المحققين، إن هذا الحرف نائب عن ذلك ، لأن العرب كانوا من الدقة في لغتهم، بحيث ليس فيها خلط، ولا لبس، والذي أراه أن حروف الجر لا تتناوب وإنما حقيق أي حريص، فقد ضمنت كلمة حقيق معنى حريص"[1]، فحقيق في اللغة بمعنى الواجب[2]، وضمنت معنى الحريص ليزداد المعنى وضوحا، وعليه يكون تفسير الآية وجب بحرص علي ألا أقول على الله إلا الحق.

خامسا: التعقيبات والترجيحات في القضايا البيانية.

يلاحظ على مسلك الشيخ فضل عباس في دراسة القصة القرآنية هو طريقته الفذة في كثرة الترجيحات والتعقيبات في الكثير من القضايا البيانية، بل كان له الفضل والسبق في تقرير الكثير منها وهي مبثوثة في ثنايا كتبه المختلفة والكثير منها في القصة القرآنية.

ومثاله ما جاء في باب حذف الحروف وذكره، قال تعالى في حديثه عن قوم ثمود ﴿**قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾(الشعراء 153-154).

أما عن قوم شعيب عليه السلام ، فجاء في كتاب الله قوله الحق﴿ **قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (185) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ (الشعراء185-186)

قال: فنحن أمام آيتين متحديتين في الجواب...ذكر حرف العطف في إحداهما وذكر الآخر فما هو السر البياني؟

بعد عرض الشيخ لأقوال المفسرين، يذكر أن عدم توسط الواو بين الجملتين في الآية الأولى، لأن معناها واحد، إذ معنى المسحورين الذي قصده قوم صالح عليه السلام أنك ذو رئة تأكل وتشرب، ثم جاءت الآية الثانية تؤكد هذا المعنى﴿ **مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾(**الشعراء154**)، فالجملة الثانية تأكيدا لها، فبين الجملتين كمال اتصال كما يقول علماء البلاغة فلا حاجة للواو، وعلى العكس من هذا ما قاله قوم شعيب عليه السلام في الآية الثانية فكلمة مسحّرين تفسر: أي الذين مسهم الشيطان، واختلط الأمر عليهم، وهذا يختلف عن كونه بشر، لذا وسطهم بواو العطف، لأن العطف يقتضي التغاير، وذلكم هو الإعجاز البياني[3] .

2.3 المطلب الثاني: اعتماده على الترتيب النزولي وعلم المناسبات في عرض القصة القرآنية

الفرع الأول: تناول القصة حسب ترتيب النزول

لقد سلك فضل عباس طريقة مبتكرة في دراسة القصة القرآنية حسب ترتيب النزول، وهذا ليس معناه أنه معارض الترتيب التوقيفي للمصحف، بل اختص القصة القرآنية على غيرها من السور حتى يتسنى فهمها فهما صحيحا ويتمكن من خلالها استخراج الدلالات والعبر والدروس ، بل يرى أنها أساس في فهم المتشابه اللفظي، وهذا ما بينه في مقدمة كتابه القصص القرآني سمو هدف وحديث نفس فقال:" ليس يضيرنا أن ترتيب السور (أي حسب النزول) ليس أمرا مقطوعا به، ويكفينا أن نوازن بين الأقوال التي وردت في ترتيب السور، لنأخذ أرجحها كما فعل العلماء، ثم أن هناك بعض السور يمكن أن ندرك ترتيبها بلا عناء وهذا هو المنهج الذي سنسير عليه.[4]

[1] ينظر المرجع السابق فضل حسن عباس، التفسير الإذاعي، سورة الأعراف آية 105، مخطوط

[2] أبو عبد الرحمن الفراهيدي، كتاب العين ، ت:مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي،دار ومكتبة الهلال ، ج3، ص6

[3] ينظر المرجع السابق ، فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها و أفنانها ، ص105

[4] المرجع السابق فضل حسن عباس ،قصص القرآن الكريم صدق حدث و سمو نفس ، دار النفائس للنشر، ط3، ط 1431هـ-2010م ، ص 82.

وكمثال عن القصة التي استخدمها فضل عباس حسب الترتيب النزولي **قصة آدم عليه السلام** ، حيث بدأ في عرض المواضع التي وردت فيها القصة، مرتبا إياها حسب ترتيب سورها في النزول على النحو التالي : 1-ص 2 –الأعراف 3- طه 4-بنو إسرائيل 5 الحجر، 6-الكهف 7 البقرة و يذكر أن هذا الترتيب هو الأرجح عند العلماء.[1]

يذكر فضل عباس أن القصة عادة تبدأ بإشارات ، ثم تفصيلات ثم تعود مرة أخرى إلى تعقيبات، وهو بهذا انتهج نفس طريقة سيد قطب في كتابه التصوير الفني.

وقد طبق هذا في دراسته على كل قصة من قصص الأنبياء، مبتدئا بالإشارات ثم التفصيلات، ثم نتائج سريعة موجزة، ونضرب لذلك قصة آدم عليه السلام كما وردت في تفسير فضل عباس ، حيث ابتدأت قصة آدم بإشارة في **سورة ص** ﴿ **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾ (سورة ص 71-72)

و أما **قصة آدم عليه السلام** في **سورة الأعراف**، فقد اختلفت بداية القصة عما جاء في سورة ص قال تعالى ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (11) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (15) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (17) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (18) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾(الأعراف 11-23)

و فيها يظهر استكبار إبليس، و أنانيته و شعوره، بالعلو ، و يؤمر بالخروج و يحكم عليه بالصغار، و يطلب الإنظار فيجاب على ذلك دون تحديد الوقت، ثم يؤمر بالخروج مذءوما مدحورا ، هو ومن تبعه إلى يوم الدين ، و تتحدث القصة عن مبالغته في الانتقام، و إقسامه أنه سيقعد لهم صراطهم المستقيم، و أنه لا يدع ثغرة إلا و يأتيهم منها، و بعد هذا التوعد يخاطب الله بني آدم محذرا لهم مبينا لهم نعمه عليهم، من خلال نداءات أربعة، و كل نداء فيه تبصير للإنسان، حتى يجتنب إغواء الشيطان ووسوسته.

أما **السورة الثالثة** التي ورد فيها ذكر اسم آدم عليه السلام حسب ترتيب النزول **سورة طه**، حيث بدأت بقوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122) قَالَ**

[1] المرجع نفسه : فضل حسن عباس،قصص القرآن الكريم صدق حدث و سمو نفس ، ص103.

اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه 115-124)

وتحدثنا السورة عن عهد الله لآدم عليه السلام ، و نسيان آم عليه السلام هذا العهد، و تحدثنا عن رسائل الراحة التي هيئت له في الجنة، وعن المداخل التي استطاع إبليس أن يدخل منها لآدم عليه السلام، و التي أصبحت فطرة في بني البشر وهي حب البقاء و حب التملك، وتحدثنا عن عصيان آدم عليه السلام ، و غوايته من قبل الشيطان و بعد ذلك اجتباء ربه له و هدايته.[1]

ثم تأتي بعد ذلك **سورة الإسراء** حيث بدأت بقوله تعالى﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (62) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (63) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾** (الإسراء61-65)، فسورة الإسراء تحدثنا عن استيلاء إبليس على ذرية آدم عليه السلام و مشاركتهم في الأموال و الأولاد و فيها تحذير للإنسان من مصائد الشيطان، و حباله و نفثه و نفخه و همزه.

و أما في **سورة الحجر** قال تعالى﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (32) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (33) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (34) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (35) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (36) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (37) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (38) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (40) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (41) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (42) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (43) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾**(الحجر 28-44)

فيها حديث عن مرحلة من مراحل خلق الإنسان وهي الصلصال و الحمأ المسنون، و بروز عنصر التزيين في سورة الحجر، و أنه لن يغوي بهذا التزيين عباد الله المخلصين.

وبعد ذلك تأتي قصة آدم عليه السلام في **سورة الكهف**، فقد ذكرت في آية واحدة من **سورة** الكهف

بقوله تعالى﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا** ﴾(الكهف 50)، ويبرز فيها أن إبليس من الجن، وأن له ذرية، وأنه فسق عن أمر ربه ، وأنه لا يجوز لبني آدم اتخاذه وذريته أولياء من دون الله.

ويذكر فضل عباس أن الحديث عن قصة آدم عليه السلام في سورة الكهف، كان آخر الحديث عن آدم في العهد المكي.[2]

ثم يأتي بعد ذلك العهد المدني فنجد الحديث عن قصة آدم عليه السلام في سورة فحسب هي **سورة البقرة**﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي**

[1] ينظر المرجع السابق القصص القرآني إيحاؤه و نفحاته ، فضل حسن عباس، النشر دار الفرقان ط1، 1407هـ-1982م ، ص288 و ما بعدها

[2] ينظر المرجع السابق فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه و نفحاته ، ص305

أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (33) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(البقرة 37)

من خلال عرض قصة آدم عليه السلام نقول أن فضل عباس سلك هذا المسلك النزولي لعدة اعتبارات أهمها:

- تجعل المتلقي يتذوق مواقع **النجوم للقصة الواحدة تذوقا صحيحا، بحيث ندرس النجوم التي نزلت الواحدة تلوا الآخر.**

-المساعدة في دراسة قضية التكرار في القصة القرآنية، بحيث توصل إلى نتائج سلمية.

-أنها أساس في فهم المتشابه اللفظي.

وهنا **نجد** أن فضل عباس قد سار بتفسيره، مع آيات الذكر الحكيم و سوره حسب الترتيب التوقيفي للمصحف، ولكن في دراسة القصة القرآنية، اختار ترتيب النزول الذي وجد أن دراستها بهذه الطريقة هي الطريقة الأمثل ويذكر الشيخ أنه قد جمع في دراسته للقصة بين الطريقتين التحليلية والموضوعية.[1]

الفرع الثاني :إظهار التناسب بين السورة و الجزء المعروض من القصة

علم المناسبات علم دقيق المسالك يحتاج إلى بذل الجهد في تتبع دراسة الآيات، و الإحاطة بأسباب النزول و التوسع في ذلك ، و هذا النوع من الدراسة تدركه إلا من أعطاه الله الحكمة، و القدرة على إدراك أسرار ترتيب القرآن ، هذا الترتيب التوقيفي بأمر رسول الله – صلى الله عليه و سلم –لكتبة الوحي الذي لم يكن جزافا أو عبثا قال تعالى ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾النساء 82

و لقد بزغ هذا العلم و ازداد الاهتمام به في العصر الحديث و الحاجة إليه ماسة، و لكن ضمن قواعد و أصول خاصة و يتبعها المفسر حتى لا يقع في الخطأ و التكلف في فهم الآيات، و قد أبرز فضل عباس علم المناسبة في دراسة القصة القرآنية و ذكره تحت عنوان :(**اختصاص كل سورة بما يتسق مع موضوعها و شخصياتها**) مع ذكر القصة التي جاءت فيها.و قد ذكر عدة دلالات لذلك أو لدراسة القصة منها:

أولا: التعرف على هدف السورة

يرى فضل عباس أنه عند دراسة القصة لابد من التعرف على هدف السورة و محورها و شخصياتها من خلال الأحداث البارزة و القضايا الأساسية التي تناولتها السورة، و كذلك النظر في المرحلة الزمنية التي نزلت فيها السورة، فالسور المكية لها سمتها، فقد جاءت لتقرير أمور العقيدة من الإيمان بالله و الكتب و الرسل، و اليوم الآخر...)و السور المدنية لها سمتها حيث بناء المجتمع الإسلامي على أسس من الطاعة و التشريعات التفصيلية.[2]

[1] المرجع السابق فضل حسن عباس، قصص قرآن الكريم صدق حدث و سمو نفس، ص6

[2] ينظر المرجع نفسه، فضل حسن عباس، قصص قرآن الكريم صدق حدث و سمو نفس، ص 116

ثانيا: مقاطع السورة

مقاطع السورة و موضوعاتها تدور على محور السورة، فالقصة تعرض في السورة محققة أهداف و أغراض السورة، فأي سورة لها محور محدد تدور حوله موضوعات السورة.

فالقصة جاءت لتقرير حقائق تدور حول محور القصة محققة أهدافها وهذا الذي سار عليه الشيخ فضل حسن عباس، و كأبرز مثال وظفه الشيخ حسن عباس في تفسيره عند عرضه لقصة آدم عليه السلام فقبل عرض قصة آدم عنون لها بـ: "اختصاص كل سورة بما يتسق مع موضوعها و شخصياتها مع ذكر القصة التي جاءت فيها".[1]

ثم استطرد قائلا:" فسورة "ص" التي جاءت في عنفوان خصومة قريش للنبي – صلى الله عليه و سلم –حينما عجبوا أن جاءهم منذر منهم، و عجبوا أن جعل منهم الآلهة إلها واحدا وطلب بعضهم على بعض أن امشوا واصبروا على آلهتكم ، بدأت القصة فيها بهذه التسلية لرسول الله – صلى الله عليه و سلم – **بعد قوله** ﴿ **إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (70) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ**﴾(**ص70–71**)، وهكذا نجد كل سورة تتناسب مع موضوعها وشخصياتها"[2]

وأما قصة **آدم** –عليه السلام –في سورة الحجر فقد وردت في سياق خلق آدم عليه السلام من الطين ، والجن من النار، فليست مادة أفضل من مادة، وهذا ما ركزت عليه القصة، أما في سورة الإسراء فقد وردت قصة آدم – عليه السلام – في سياق فتنة الناس، و لذلك كان الإسهاب في واقعة حسد ابليس و عدائه لآدم و ذريته، و أما في سورة الأعراف فقد وردت القصة في سياق أن الناس قليلا ما يشكرون الله الذي مكنهم في الأرض، وجعل لهم فيها معايش و لهذا أسهبت القصة في موقف إبليس مع الإنسان و أما في سورة البقرة وهي كما تعلم وهي سورة التكاليف التي كلفت بها الجماعة المؤمنة، وهذه التكاليف لابد لها من علم، فمن علم بها و عمل بها كان جديرا أن يكون خليفة في هذه الأرض، لبذلك ذكر جانب من قصة آدم – عليه السلام – وما يتناسب مع شخصية السورة و موضوعها.[3]

وفي معرض حديثه – رحمه الله – عن **قصة نوح** عليه السلام و تحت عنوان (اختصاص كل سورة بما يتسق مع موضوعها و شخصياتها) مع ذكر القصة التي جاءت فيها): يقول الشيخ (أما سورة القمر ذات الآيات القصار، و النبرة القوية، فإذا جاءت تحدث عن المكذبين اللذين لا يؤمنون بالآيات، رغم سطوعها و ظهورها، و يكفي هذه البداية[4] قال تعالى:﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ**﴾(**القمر 1–2**)... الآيات إذن جاءت ردا حاسما على أولئك المعرضين...و تثبيتا مكينا للنبي عليه السلام و للمؤمنين، وما جاء في قصة نوح عليه السلام جاء متناسبا مع موضوع السورة و شخصيتها، بل مع بدايتها كذلك (اقتربت الساعة)و الدليل ما تقوله الفاءات المتعاقبة التي نجدها في القصة، (فكذبوا عبدنا) (فدعا ربه)(فانتصر)

(فالتقى الماء) (ففتحنا أبواب السماء) ونلحظ أن النتيجة سريعة، لم يكن بينها و بين مقدماتها، مراحل طويلة، وهذا ما يقتضيه موضوع السورة، فالسورة مبنية على هذه الحقيقة قال تعالى ﴿ **فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (16)**﴾(**القمر 16**) و هكذا نجد الاتساق و التناسب التامين في السورة كلها من حيث موضوعها و القصص القرآني الذي ورد فيها و الله أعلم.[5]

---

[1] ينظر المرجع السابق فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم صدق حدث و سمو نفس، ص117

[2] ينظر المرجع نفسه، فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم صدق حدث و سمو نفس، ص117

[3] المرجع نفسه ، فضل حسن عباس، قصص القرآن صدق حدث و سمو نفس، ص 118

[4] المرجع نفسه فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم صدق حدث و سمو نفس، ص 198

[5] المرجع السابق، فضل حسن عباس، قصص القرآن الكريم صدق حدث و سمو نفس، ص 198–199.

وقد أحسن وأتقن الشيخ فضل عباس في توظيف علم المناسبة بين محور السورة وموضوعاتها ،حيث بين فيه روعة النظم القرآني ، بحيث أن هذه الطريقة الإلهية في اختيار أجزاء من القصة، تتناسب وموضوع السورة لهي أحسن الطرق و أكثرها أثرا في نفس القارئ لأنها تفي بالغرض من ناحية الهدف وهي تعرض بأسلوب فني رفيع فيه كل عناصر التشويق و العبرة و العظة.

وبهذا فعلم المناسبة يبرز لنا جانبا من إعجاز القرآن، وأنه كلام الله المنزل فيه الأحكام والترتيب والملائمة قال تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾**(النساء 82)**

وبهذا نقول أن الشيخ فضل عباس أبلى بلاءا حسنا ووظف توظيفا أمثلا لعلم المناسبات وذلك من خلال تتبعه للإطار الزماني والمكاني لهذا العلم ، وتوضيحه كيفية انسجام الأحداث وترابطها ترابطا منطقيا مما شكل حلقة محكمة النسج، وهذا إن دل فإنما يدل على مصدرية القصة القرآنية وإعجازها وإنها من لدن حكيم خبير، وأنها صالحة لكل زمان ومكان[1].

3.3 المطلب الثالث:موقف الشيخ فضل عباس من الإسرائيليات:

ما يلاحظ على تفسير فضل عباس للقصص القرآني هو عزوفه الأخذ من الإسرائيليات، فهو يرى بوجوب الالتزام بما ورد في القرآن، وما صح من الأحاديث، بل كان له موقف حاسم من هذه الإسرائيليات يتلخص في ردها والتنبيه على خطرها والدفاع عن الصحابة رضوان الله عليهم، في عدم الأخذ بروايات أهل الكتاب، وأنه يذكر الإسرائيليات للتنبيه على خطرها، ووجوب تجنبها عند عرض القصة ولقد وقفت على عدة نماذج للقصص القرآني و طريقة صاحبها في الرد و مناقشة الإسرائيليات الواردة بشأنها و مثالها:

أولا: الإسرائيليات الواردة في قصة ابني آدم عليه السلام ، في حديثه عن قصة ابني آدم عليه السلام في سورة المائدة ، حيث ينفي الروايات الإسرائيلية، ويكتفي بما ورد في النص القرآني فيقول:" لقد أكثر المفسرون و القصاص من الحديث في ابني آدم وكثير ما ذكره ليس له سند يعتمد عليه ، فمن ذلك أنهم ادخلوا عنصر المرأة فقالوا: كانوا يولد لآدم توائم ابن و بنت فيتزوج كل أخت الآخر، و أن قابيل كان نصيبه أخت هابيل، ولم تكن على شيء من الجمال إذا غضب وحسد أخاه، وهذه فرية ليس لها أساس من الكتاب أو السنة". [2]

ثانيا: الإسرائيليات الواردة في قصة أيوب عليه السلام يعقب عليها بقوله:إنّ ما قصه القرآن علينا من خبر أيوب – عليه السلام – لم يكن فيه غرابة الشأن ، ما يخرجه عما ألفه الناس ، ومع ذلك وجدنا القصاصين عشاق الإسرائيليات ينسجون حول هذا الخبر ما يجوز وما لا يصح بل وما يتنافى مع عصمة الأنبياء – عليهم السلام – وكل ما أفادته القصة أنه ابتلي بمرض ، [3]و لكنه صبر، وتضرع إلى الله إلى أنّ من الله عليه بالشفاء...ولكنهم أثاروا حول ذلك كثيرا وكثيرا، فذكروا أخبارا في سبب ما أصاب أيوب عليه السلام، وهي أخبار كاذبة بالطبع، وذكروا أنّ مرضه من الأمراض المنفرة، و أن جسمه كان مرتعا للدود إلى غير ذلك من الأخبار الكاذبة الشاذة...كل ذلك لا يمكن أن يعول عليه.[4]

ثالثا : الإسرائيليات الواردة في قصة سلمان – عليه السلام – بدأها بقوله: الأخبار الواردة في قصة سليمان فقال: ﴿**إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ**﴾ **(ص 31) فقال** : هنا للقصص و الأخبار الإسرائيلية نصيبها: قالوا: إن سليمان عرضت عليه

[1] بتصرف

[2] المرجع السابق فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه و نفحاته ، ص 788 وما بعدها

[3] المرجع نفسه، القصص القرآني إيحاؤه و نفحاته: فضل حسن عباس ، ص 373 وما بعدها

[4] المرجع نفسه فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه و نفحاته، ص 373 وما بعدها

الخيل و كانت كثيرة فشغلته عن صلاة العصر، أي بقيت تعرض عليه ابتداء من بعد الظهر بعد الزوال غلى غروب الشمس ، فنسى صلاة العصر، و لما صار معه.

و بهذا نجد أنّ فضل عباس رحمه الله يذكر هذه القصة ليفندها و يردها و يقف عندها وقفة واضحة مبرزا خطرها و منافاتها للأخبار الصحيحة، إن أخبار أهل الكتاب قد اجتاحها التحريف و فقدت مصداقيتها و ليس لدينا الآن إلا القرآن بأخباره الصادقة قال تعالى ﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** ﴾(النمل 76).

ويذكر فضل عباس رحمه الله أن أخبار أهل الكتاب ليست من مصادر التفسير عند الصحابة ، فهل يمكن لمن تتلمذ لسيد الخلق أن يتتلمذ **لكعب** "و أمثاله مفندا هذا القول مبينا أن مصادر التفسير عندهم صافية غير مستوردة ، تنبع من ذاتهم وبيئتهم لذلك لا نجد اختلاف في التفسير عندهم، وبعد ذلك جاء عهد التابعين فظهرت مؤثرات كان لها أثرا في ظهور ضعيف روايات التفسير، وأهم هذه المؤثرات الوضع والإسرائيليات، ويذكر أن الإسرائيليات ساعد على انتشارها وتضخيمها حذف الأسانيد، وأول من سن هذه السنة السيئة مقاتل بن سليمان و صاحب التفسير الكبير". [1]

فالقرآن لم يقف عند حدود ما ذكرته كتبهم بل عرض الحقائق عرضا يختلف عن عرض التوراة والإنجيل، مصححا أخطاء خطيرة مليئة بها كتب أهل الكتاب منها إباحة الزنا ونسبهم شرب الخمر لأنبيائهم، وكذلك أحيانا يضيف أشياء لم تذكره كتبهم.

4. خاتمة:

أسفرت دراستنا لمنهج فضل عباس عن طريقته المبتكرة في دراسة القصة القرآنية، كما رسم لها خطوطا متميزة لم يسبق إليها، تتمثل فيما يلي:

-استقصاء آيات القصة الواحدة من جميع النصوص القرآنية وترتيبها ومعالجتها.

-بيان معاني المفردات ودلالات الآيات دليل على تمرسه في اللغة العربية وعلومها .

-إبراز خصائص النظم القرآني وتذوق أساليبه [في عرض القصص القرآني بأساليب مختلفة].

-إبراز مناسبة آيات القصة للسورة التي وردت فيها من حيث الألفاظ المستخدمة.

-تنقية القصة من الشوائب الدخيلة كالإسرائيليات وتوجيهها توجيها صحيحا.

- إسقاط وربط القصص بالواقع من خلال قضايا التنزيل.

-استخراج اللبنات الحضارية التي أرسى بنيانها الأنبياء.

-اعتمد فضل عباس في دراسة القصة القرآنية طريقة ترتيب النزول، وهي بحق فتح جديد في دراسة القصة القرآنية.

5. قائمة المراجع:

- ابن منظور :**لسان العرب**، دار صادر بيروت، ط4 -1414هـ ، ج10،ص442-443

- أبو الفتح عثمان بن جني : **الخصائص** ، الناشر : عالم الكتب - بيروت تحقيق : محمد علي النجار ، عدد الأجزاء : 3، ج2،ص308-435

- أبو عبد الرحمن الفراهيدي، **كتاب العين** ، ت:مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي،دار ومكتبة الهلال، ج3،ص6.

[1] المرجع نفسه ، فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه و نفحاته، ص 375

– أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري : **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:** تحقيق : د.مازن المبارك ومحمد علي ، الناشر : دار الفكر – بيروت، الطبعة السادسة ، 1985، ج2،ص791.

– أحمد بن فارس بن زكرياء القزوين، **معجم مقاييس اللغة،** تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،ط1399هـ-1979م،ج3،ص97.

– الزمخشري ، **أساس البلاغة،** تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1998/1م ، ج1 ، ص 470

– بلبول عبد الباسط إبراهيم محمد، **القصص القرآني:** دت، جامعة الأزهر القاهرة ص36.

– شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي : **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب** ،ت: إياد محمد الغوج، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم،ط1، 1434هـ-2013م ،ج8،ص288

– صلاح عبد الفتاح الخالدي،**تعريف الدارسين بمناهج المفسرين،** دار القلم_ دمشق، ط4 ، 1492هـ 2008 م، ص 17-18-19.

– عبد الكريم الخطيب :**القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه،** مطبعة السنة المحمدية القاهرة/ط1 1964م/ ص41-42

– فضل حسن عباس : **قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو نفس،** دار النفائس للنشر و التوزيع الأردن، الطبعة الثالثة : 1430هـ/-2010م ، ص12

– فضل عباس : **البلاغة** فنونها و أفنانها، ط11، دار الفرقان للنشر، 2007، ص13

– فضل عباس :**التفسير الإذاعي،** سورة يوسف 8، مخطوط

– فضل عباس ، **القصص القرآني إيحاؤه و نفحاته** ، النشر دار الفرقان ط1، 1407هـ-1982م ، ص288 و ما بعدها

– فضل عباس و سناء فضل عباس، **إعجاز القرآن الكريم** ط1412هـ-1991م ، ص155

– فضل عباس،**قصص القرآن صدق حدث و سمو نفس** ، دار النفائس للنشر، ط3، ط 1431هـ-2010م ، ص 82

– محمد بكر إسماعيل : **ابن جرير الطبري و منهجه في التفسير** ،دط،دت، ص29

– محمد بن علي الصبان الشافعي: **حاشية الصبان** :دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1417 هـ -1997م،ج2،ص95

– محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني، **لآلئ مضيئة من حياة العلامة فضل حسن عباس** ، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن-عمان ط1434/1هـ-2013م ، ص13

– محمد علي ايازي: **المفسرون حياتهم ومنهجهم،**مكتبة مؤمن قريش وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ،ط1386هـ ، ج1،ص31-33.

– محمد متولي الشعراوي : **تفسير الشعراوي،** الناشر :دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، ط1992م ، ج1،ص4368

– مريم السباعي، **القصة في القرآن الكريم،** دار النشر جامعة أم القرى،ط1404هـ -1984م ،ص39.

– مناع القطان: **مباحث في علوم القرآن،**دار النشر مكتبة وهبة ، ط11، ط2000م ، ص300.

علي محمد الزبيري، **ابن جزي ومنهجه في التفسير،** الناشر: دار القلم، سنة النشر: 1407 – 1987،ج1،ص328